مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣١ ع ٥، ص ص: ٣٦٥ - ٤٠١ (٢٠٢٣م)
DOI:10.4197/Art.31-5.13

بلاغة الأحاديث الواردة بصيغة (اللّهم) في الصحيحين: دراسة تحليلية لبعض الأحاديث

محمد بن علي بن عايض بن درع

أستاذ البلاغة والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية

dera.m1388@gmail.com

المستخلص. هذه دراسة متخصصة في جزئية من التطبيق العملي على الحديث الشريف وسمتها بـ (بلاغة الأحاديث الواردة بصيغة اللّهم في الصحيحين دراسة تحليلية لبعض الأحاديث)، أقمتها على منهج تحليلي يقوم على اختيار عينة من الأحاديث وذلك بناء على توافق مع الغرض المنشود ثم العرض والتحليل. أما بناء الدراسة فقائم على مقدمة ومبحثين، جاء المبحث الأول في مطلبين: الأول: الدعاء: تعريفه – فضائله – آدابه – موانع الإجابة. والثاني: بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقام المبحث الثاني: على الدراسة التطبيقية التحليلية، وقد سبقهما مقدمةٌ كشفت فيها عن فكرة البحث وحدوده وأهميته والأسئلة الدائرة حوله، ومنهجه والدراسات السابقة له. وخاتمةٌ بيّنت فيها ما تمخضت عنه الدراسة، منها: سرّ الدعاء بهذه الصيغة وتكرارها. وتوظيف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لفنون البلاغة المتنوعة والتي ساهمت بشكل فريد في تصوير حالة العبد إبّان دعائه لربه وملازمته لطاعته.

الكلمات المفتاحية: الدعاء، صيغة اللهم، بلاغة الأحاديث، دراسة تحليلية.

المقدمة

إنّ أفضلَ ما اعتنَي به المسلمُ في حياته، وأنفعَ ما يقضي به المؤمنُ أوقاته؛ ذكرُهُ لربه وملازمتُه دعاءَه فإن ذلك خيرُ ما تصرفُ فيه الأوقات وتمضي فيه الأنفاس، فما هو إلا فيض شعور، ودليل صادق على انكسار النفس وضعفها وقد بيّن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يتعلق بالذكر والدعاء – جميعَ ما يحتاج إليه الناسُ من ذلك ووضّح المشروع والمستحب في ذكر الله ودعائه في كل أحوال الناس ومناشطهم، ومن هنا

بدأت فكرة دراسة بعض الأحاديث الشريفة الصحيحة التي تتناول الدعاء دراسة بلاغية تحليلية تبرز الأسرار البيانية وتكشف عن مواطن الجمال والإبداع، أما حدود الدراسة فقد تناولت الدراسة أحاديث الدعاء الواردة في الصحيحين، والمبدوءة بصيغة اللّهم، ولضيق مساحة البحث عن الإحاطة بكل الأحاديث فقد وقع الاختيار منها على خمسة أحاديث متنوعة اشتملت على حياة المسلم ومناشطه ولعلّي في هذه الدراسة قد سعيت أن يكون لي شرف الإسهام في خدمة البيان النبوي ولو بالقليل.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تعد دراسة عملية تطبيقية لمختلف أشكال البلاغة الحية في حياة المؤمن، كما تهدف إلى الكشف عن فصاحة الدعاء النبوي وبيان نواحيه البلاغية وتوظيفها. وتجيب الدراسة عن: ما سرّ الدعاء بهذه الصيغة وما علاقتها بمضمون الدعاء وما العلاقة بين الألفاظ المستخدمة في الأدعية ومضامينها؟

وأما عن الدراسات السابقة فهناك مؤلفات ودراسات علمية كثيرة عامة ذات جهود طيبة في خدمة الحديث الشريف إلا أن مصنفاتهم ودراساتهم – على أهميتها – جاءت شاملة، تأتي فيها أحاديث الدعاء عرضاً ضمن مجموعة من الأساليب البيانية، ولن أستعرضها؛ لكثرتها وشهرتها. كما ظهرت دراسات حديثة بلاغية محضة تناولت الدعاء في الحديث من مثل: في بلاغة الدعاء النبوي لعبد الرزاق فضل ودراسة من البلاغة النبوية في أدعية الصلاة لعلي محمد؛ إلا أن تحليلات الأحاديث المدروسة في هاتين الدراستين جاءتا شاملة عامة اكتست ثوب الشرح والتفصيل للأحكام الشرعية، وكذلك لم تشر إلى علاقة التراكيب البلاغية بدلالات هذه الأدعية، وعلى الرغم من ذلك إلا أن دراساتهم كانت منارات شامخة وكثيراً ما اهتديت بها.

أما دراستي هذه فهي متخصصة في جزئية من التطبيق العملي على عينة من الأحاديث الشريفة المبدوءة بصيغة (اللهم) دراسة بلاغية تحليلية في ضوء نظرية النظم. أقمتها على منهج تحليلي تطبيقي وذلك بناء على توافق مع الغرض المنشود ثم العرض والتحليل. أما بناء الدراسة فقائم على مقدمة ومبحثين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

المطلب الأول: الدعاء: تعريفه – فضائله – آدابه – موانع الإجابة

الدعاء لغة: مصدر الفعل دعا، دعا الرجل دعْوًا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته[١]، قال ابن فارس: (دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء[٢]. وفي الاصطلاح: هو الرغبة إلى الله[٣]. وفي الحديث الدعاء هو العبادة، فهو عبادة تقوم على سؤال العبد ربه فيما عنده من الخير والتضرع إليه وطلبه ما ينفعه وما يكشف ضره. وحقيقته إظهار الافتقار إلى الله تعالى والاستكانة له والتبرؤ من الحول والقوة وهو سمة العبودية وفيه معنى الثناء وإضافة الجود والكرم إليه[٤].

والدعاء من أجلّ العبادات ومن أعظم القربات يمنع البلاء ويرد القدر، وهو من أسباب حفظ العباد من العذاب، ومن فضل الله وكرمه وجوده أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة.

ويطلق الدعاء في القرآن ويراد به دعاء العبادة، ويطلق ويراد به دعاء المسألة[٥]، وهو مناط الدراسة. وللدعاء آداب منها: الاعتراف بالذنب والاستغفار منه وطلب المغفرة، الطهارة والإخلاص في الدعاء وحسن الظن بالله والخشوع وحضور القلب والثناء على الله تعالى بين يدي الدعاء وشفعه بالصلاة والسلام على رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – وخفض الصوت بالدعاء بين المخافتة والجهر. وأن يعزم المسألة، وأن يظهر التضرع والرغبة والرهبة وأن يلح في الدعاء وألاّ يعتدي فيه، وأن يحرص على الدعاء باسم الله الأعظم، وأن يتحرى مواطن وأوقات الإجابة منها: عند الآذان وبين الآذان والإقامة وحال السجود

---

(١) ينظر: ابن منظور، محمد، (د. ت)، لسان العرب، ١٤/ ٢٥٧–٢٥٨، (د. ط)، بيروت، دار صادر.

(٢) ابن فارس، أحمد، (د. ت)، مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٩. (د. ط)، بيروت، دار الفكر.

(٣) ينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين، (د. ت) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٢/ ٦٠٠، بيروت، المكتبة العلمية.

(٤) ينظر: الخطابي، حمد، (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) شأن الدعاء: ٤، د. ط، مصر، المكتبة العمرية.

(٥) ينظر: ابن تيمية، أحمد، (١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م) مجموع الفتاوى ١/ ٦٩، ٢/ ٤٥٦. طبعة مجمع الملك فهد، المينة المنورة. وزارة الأوقاف السعودية.

ودبر كل صلاة، وجوف الليل وآخره. وساعة يوم الجمعة وعند الاستيقاظ من النوم ليلاً وعند نزول الغيث وعند الشرب من ماء زمزم ويوم عرفة وليلة القدر وعند السفر[١].

ويشترط لإجابة الدعاء: طيب المطعم والحذر من أكل الحرام، وعدم استعجال الإجابة، وحضور القلب عند الدعاء وعدم الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، وألا يترك العبد الواجبات وألاّ يفرط في فعل الطاعات[٢].

المطلب الثاني: بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم

حوت أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – صنوف البلاغة، وألوان الجمال والفصاحة، وكانت من أبرز مظاهر عظمته، وأجلى دلائل نبوته، وعبرت أدق تعبير عن سموّ نفسه صلى الله عليه وسلم، وأبانت عن المنبع العذب الذي نهلت منه.

والبلاغة النبوية تمتاز بأنها لا مثيل لها في كلام الفصحاء لما تميزت به من خصائص وسمات أسلوبية تعبر عن المعنى، ولهذا تبارى العلماء والبلغاء في وصف فصاحته، وما امتاز به كلامه –صلى الله عليه وسلم – من جمال وبلاغة جعلته يتربع على قمة الأساليب البشرية، ويتبوّأ سلّم البلاغة العالية.

ومن أفضل ما قيل في ذلك ما سجلّه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) معلم البلاغة الأول ورائدها حيث يقول: "وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة والتكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمته، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد ويُسّر بالتوفيق... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه– صلى الله عليه وسلم –"[٣]

ويقول الماوردي (ت٤٥٠هـ): "كان من خصال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه أفصح الناس لسانًا وأوضحهم بيانًا وأوجزهم كلامًا وأجزلهم لفظًا وأصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا

---

(١) ينظر: الخطابي، شأن الدعاء: ١٤وما بعدها. والبدر، عبد الرزاق، (١٤٣١هـ)، كتاب الذكر والدعاء في ضوء الكتاب والسنة، ١٦ وما بعدها، ط٣، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد.

(٢) ينظر: دياب، سعيد، (٢٠٢١) فضل الدعاء وآدابه ٩٢، د. ط، قطر، دار الدوحة.

(٣) الجاحظ، عمرو، (د. ت) البيان والتبيين، ٢/ ١٧. د.ط، بيروت، دار الفكر.

يتخلله فيهقة التعسف"[١]. وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): "ثم إن هذا البيان العربي كأن الله عزت قدرته مخضه، وألقى زبدته على لسان محمد –صلى الله عليه وسلم – فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرِّجل (كناية عن العجز) وما من مصقع يناهزه إلا رجع فارغ السجل"[٢].

وقال القاضي (ت ٥٤٤هـ): "وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان وقلة تكلّف، أوتي جوامع الكلم."[٣].

وقال مصطفى الرافعي عن بلاغة النبي –صلى الله عليه وسلم –: "هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة. ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقة، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول حتى ليس فيها كلمة مفضولة، وكأنها هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم"[٤].

ولما كانت السُنّة وحياً من عند الله فإنه كان لزاماً أن يكون فيها ما كان في القرآن من قوّة البلاغة والفصاحة حتى يحصل بها التحدي والإعجاز، وقد أوتي –صلى الله عليه وسلم –جوامع الكلم، وأيّد بفصاحة المنطق وحسن القول وقوة الإقناع وبراعة التفنن في الأساليب، وقد كانت له مقومات وعوامل أهلته لاكتساب هذه الفصاحة والبلاغة، ويأتي في مقدمة هذه العوامل: التوفيق الرباني والرعاية الإلهية، والفطرة النقية والبديهة الحاضرة، ونزول القرآن العظيم عليه، وكونه قرشيا استرضع في بادية بني سعد[٥].

---

(١) الماوردي، علي، (١٤٠٩هـ)، أعلام النبوة، ٢٦٦، ط١، بيروت، دار الهلال.

(٢) الزمخشري، محمود، (د. ت) الفائق في غريب الحديث، تح: علي البجاوي وزميليه،١/ ١١، مصر، مطبعة الحلبي

(٣) القاضي، عياض، (١٤٣٤هـ) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ١/ ٩٥. الإمارات العربية، جائزة دبي الدولية.

(٤) الرافعي، مصطفى، (١٣٩٣هـ) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ٢٧٩،د. ط، بيروت، دار الكتاب العربي. والرافعي، مصطفى (١٩٨٧م) تاريخ آداب العرب ٢/ ٢٣٥، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

(٥) ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ٢٨١ وما بعدها. والحمزاوي، محمد (١٤٢٨هـ) الخصائص البلاغية للبيان النبوي ٢٩ وما بعدها، ط١، الرياض، مكتبة الرشد. وشيخ، بكري، (٢٠٠٥م)، ١١٢، ط٧، بيروت، دار العلم

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية

الحديث الأول: سيد الاستغفار

عن شداد بن أوس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "سيّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة"[١].

قال الطيبي: "لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يُقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور"[٢]. ولا شك أن سيد القوم أفضلهم، وهذا الدعاء أيضاً سيد الأدعية وهو الاستغفار[٣] والحكمة في كونه سيد الاستغفار أنه وأمثاله من التعبديات –والله تعالى أعلم– بذلك لكن لا شك أنه قد فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة وارتفع عليها، وفيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف وذكر نفسه – أي العبد – بأنقص الحالات، وهو أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو[٤]. وجملة "سيد الاستغفار أن تقول" جملة خبرية مثيرة، ألقيت لخالي الذهن وكأنها

للملايين. والعسكر، عبد المحسن، (١٤٣٥هـ)، ٢٥، ط١، الرياض، دار المنهاج. وجدوع، عزة، (١٤٣٤هـ) البلاغة في القرآن والسنة، ٢٦٩، ط١، الرياض، مكتبة الرشد.

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد، (١٤٣٣هـ – ٢٠١٠م) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٢/ ٨٢.ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية.

(٢) العسقلاني، فتح الباري ١٢/ ٨٣. والعيني، بدر الدين، (١٤٢١هـ – ٢٠٠١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٢/ ٤٣٢، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية. القاري، علي، (١٤١٤هـ– ١٩٩٤م) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ١٦٧. بيروت، دار الفكر. والطيبي، حسين، (١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م) شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ١١٠، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية. والمباركفوري، محمد (د. ت) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٩/ ٣٣٧، بيروت، دار الفكر

(٣) ينظر: العيني، عمدة القاري ٢٢/ ٤٣٢. وأبو موسى محمد (١٤٤٣هـ– ٢٠١٢م) من أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دراسة في بلاغه وبلاغته، ٢٥٤، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة.

(٤) ينظر: العيني، عمدة القارئ ٢٢/ ٤٣٣. والسفاريني، محمد، (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م)، نتائج الأفكار في شرح حديث الاستغفار ١٦٩، ط١، الرياض، دار الصميعي.

تقول: أيها العبد اظفر بهذا الاستغفار وتعلق به وأسكنه في قلبك فإنه سيد الاستغفار، وجملة "اللهم أنت ربي" جملة إنشائية دعائية، ولذا فصل بين الجملتين لكمال الانقطاع.

قوله: "اللهم أنت ربي" حذف حرف النداء مع لفظ الجلالة وكأنه استشعر أن حرف النداء سيؤخر اللقاء المولع بلفظ الجلالة فحذفه ليلتقي مباشرة بكلمة (الله) التي هي جماع ما في أسماء الله الحسنى والدالة على اتصافه جلّ وتقدس بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص ونذكر ما قاله الشافعي "من أن كلَّ ما في القرآن راجع إلى أسماء الله الحسنى، وما عقب به سامعه من قوله وكل أسماء الله الحسنى راجع إلى لفظ الجلالة، وكأن هذا الوجود مستكن في لفظ الجلالة"(١).

وتأمل لفظة (أنت) وما توحيه من شرف الخطاب وحلاوة الإقرار بربوبيته لك، فقد بلغت أيها العبد مرتبة عالية بمخاطبتك ربك بقولك له: "أنت". وتأمل لفظة (ربي) وصف للجلالة للمبالغة، مشتق من ربّه يربه رباه وساسه فهو مدبر الخلائق وسائس أمورها ومبلغها غاية كمالها(٢) والإضافة في (ربي) للتشريف والتعظيم، وأفاد القصر في (أنت ربي) بطريق تعريف الطرفين الاختصاص، حيث قصر صفة الربوبية على الموصوف (أنت) وهو الله تعالى، واللفظة مكثفة فيها معاني الحنان والعطف والشفقة والرحمة، ومن أشفق من الله بعباده.

وجملة "لا إله إلا أنت" جاءت بيانًا للجملة الأولى، ولذلك لم تعطف لكمال الاتصال. وأفادت قصر صفة الألوهية على الموصوف (أنت) وهو الله تعالى قصرًا حقيقيًا تحقيقًا للتأكيد.

وجملة "خلقتني" إما أن تكون استئنافًا جيء بها بيان للتربية(٣)، وتهيئة لما سيأتي، أو مؤكدة لما قبلها؛ ولذا وجب الفصل لكمال الاتصال؛ لأن التفرد بالألوهية يفضي لا محالة إلى التفرد بالخلق، ومادام هو وحده الله فهو وحده الخالق، وكل الذي مضى هو من الثناء الذي يتقدم الدعاء.

والواو في قوله: "وأنا عبدك" عاطفة أفادت الربط بين جمل الحديث الشريف مما أدى إلى اتساق أجزائه. وجملة "وأنا عبدك" جملة خبرية أفادت إقرار العبد بعبوديته لربه سبحانه وتعالى، وفيها وجهان: إما

---

(١) أبو موسى، من أحاديث رسول الله: ٢٥٨.

(٢) ينظر: الألوسي، محمود (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١/ ٨٠. ط١،، بيروت، دار الكتب العلمية. وابن عاشور، محمد (د.ت) التحرير والتنوير، ١/ ١٦٦، تونس، دار سحنون.

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي ٩/ ٣٣٧. والقاري، مرقاة المفاتيح ٥/ ١٦٧.

أن تكون حالًا مؤكدة تبين هيئة المخلوق، وإما أن تكون مقررة لما قبلها، أي: أنا عابد لك. قاله الطيبي(١). والأول أقرب للسياق "لأن معناها مفهوم من الكلام التي هي حال منه، لأن المخلوق لا محالة عبد للذي خلقه"(٢). وأفاد القصر بطريق التعريف الاختصاص.

وفي قوله: "خلقتني وأنا عبدك" لف ونشر مرتبين، فخلقتني لازم ربوبية أنت ربي، وأنا عبدك لازم ألوهية لا إله إلا أنت، فيكون الكلام لف ونشر مرتبين، قدّم ذكر الربوبية لكونها الدليل، وقدم لازمها من الخلق والتقدير، وثنى بذكر الألوهية لكونها المدلول، وثنى بلازمها من العبودية الاختيارية عبودية الطاعات والانقياد، فهي عبودية خاصة غير عبودية الخلق العامة، فالأولى انقياد لأمر التشريع، فلا تكون إلا لخواص عباده من المؤمنين الذين امتثلوا أمره فعلاً ونهيه تركاً، والثانية انقياد لأمر التكوين فتعم المؤمن والكافر. والحصر بتعريف الطرفين في (أنا عبدك) في مقابل الحصر بتعريف الطرفين (أنت ربي) فتلك عبودية مطلقة في مقابل مربوبية مطلقة فالتسمية ثنائية لا ثالث لها ربّ معبود وعبد مربوب مقهور.

وبين لفظتي (عبدك وعهدك) جناس لاحق، فقد صور تباعد المخارج بين صوت الباء في عبدك ومخرجه من الشفتين وصوت الهاء في عهدك ومخرجه من أقصى الحلق مما ساعد على إبراز سلطان الخالق من خلال شيوع جو العبودية لله تعالى، فالجناس بين اللفظتين ولّد نغمة موسيقية هادئة فضلا عن السجع اللطيف الموجود في الدعاء، إذ تفاعل هذان اللونان على تشكيل نغمة موسيقية محببة تدخل القلوب لتخلق حالة من الهدوء النسبي عند المسلم يتوافق وجو المقام.

وجملة "وأنا على عهدك ووعدك" عطف على ما قبلها؛ للاشتراك في الحكم الإعرابي وللمناسبة بين الجملتين، وأفادت إقرار العبد بضعفه وعجزه أمام عظمة ربه.

والواو في الجملتين توشك أن تكون مستقلتين "ودخولها في الغرض المسوق له الحديث من جهة أن عبوديتي لك تغريني برجاء حاجتي، وأن عبوديتي لك من مسوغات رجائي في الذي عندك ثم هي عبودية من هو على عهدك ووعدك"(٣).

---

(١) ينظر: والعسقلاني، فتح البارئ ١٢/ ٨٣. والعيني، عمدة القارئ ٢٢/ ٤٣٣.

(5) ينظر: أبو موسى، من أحاديث رسول الله: ٢٥٩.

(٣) أبو موسى، من أحاديث رسوا الله ٢٦٠

والعهد والوعد الذي بين العبد وربه مفتوح لمعان كثيرة، ففيه إيجاز بالقصر. واشتراط الاستطاعة في قوله: "ما استطعت" معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى(١). وكأنه يقول: يا رب إن استطاعتي عجزت عن البلوغ بي إلى الذي ترضاه وإنني رغمًا عني أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي وأنني كما أسألك بعبوديتي لك أسألك أيضاً بعجزي عن بلوغ مرضاتك وإنما أبلغ مرضاتك بالمغفرة. وفي قوله: "وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت" إطناب في بيان لوازم الألوهية يقتضيه مقام العبودية المفتقرة إلى عطاء الربوبية.

قوله: "أعوذ بك من شر ما صنعت" قال الطيبي: "استعاذ مما عصم منه ليلتزم خوف الله وإعظامه والافتقار إليه، والباء للإلصاق المعنوي للتخصيص كأنه خص الرب بالاستعاذة"(٢). والجملة توطئة لقوله: "أبوء لك بنعمتك عليّ" وكأنه هيأ لقوله: "وأبوء لك بذنبي" بكلامين، الأول: أعوذ بك من شر ما صنعت" والثاني: "أبوء لك بنعمتك عليّ"، وفي هذا توبيخ وتبشيع؛ فإذا كان أعوذ بك من شر ما صنعت دالاً على التقصير فإنّ أبوء لك بنعمتك دال على ما هو أبشع من التقصير، لأن الأبشع من المخالفة أن تخالف من تبيت في نعمائه تتقلب

قوله: "أبوء لك بنعمتك عليّ" أي أقرّ واعترف(٣) بها من قولهم: باء بحقه أي أقر به وأصله البواء ومعناه اللزوم ومنه بوّاه الله منزلاً إذا أسكنه فكأنه ألزمه به. وقوله: "وأبوء لك بذنبي" معطوف على ما قبلها، ومسوغ العطف كونهما مشتركتين في الحكم الإعرابي ووجود المناسبة بينهما، والباء إما أن تكون للإلصاق، أي تلبسه الذنب ولاصقه وإما أن تكون للسببية أي بسبب ذنبي – والله هو أعلم.

واعترف أولا بأنه تعالى أنعم عليه ولم يقيده ليشمل جميع أنواع النعم ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها، ثم بالغ فعدّه ذنباً مبالغة في التقصير وهضم النفس تعليماً للأمة(٤). والتعبير بالفعل المضارع

(١) ينظر: العسقلاني، فتح البارئ ٨٤/١٢. والعيني، عمدة القارئ ٤٣٣/٢٢. والطيبي الشرح على المشكاة ٥/ ١١٠. والمباركفوري، تحفة الأحوذي ٩/ ٣٣٧. والبغوي، محمد، (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م)،٣/ ١٤٢، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية. والقاري، مرقاة المفاتيح ٥/ ١٦٨.

(٢) المناوي، محمد، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٩٤، القاهرة، دار الحديث.

(٣) ينظر: ابن تيمية، أحمد (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م)، الفتاوى الكبرى ١/ ١٢٣، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

(٤) العسقلاني، فتح الباري ١٢/ ٨٤. وينظر: العيني، عمدة القارئ ٢٢/ ٤٣٣. والطيبي الشرح على المشكاة ٥/ ١١١. والمباركفوري، تحفة الأحوذي ٩/ ٣٣٧.

(أبوء) لاستحضار هيئة العبد الضعيف، ولإفادة التجدد والحدوث، فينبغي على العبد أن يكون دائماً مقرّاً بنعم الله وآلائه عليه، معترفاً بتقصيره وخطئه في حق ربه.

وتلاحظ أن عطف "أبوء لك بذنبي" على "أبوء لك بنعمتك عليّ" جاء على خلاف ما ينبغي، والأصل أن يعطف (أبوء بطاعتي لك) على "أبوء لك بنعمتك عليّ" لأن النعمة يقابلها الشكر والطاعة "ولكنني انتكست وبُؤت بالنعمة وبُؤت بالذنب ثم إن البيان الذي فيه أنه باء بالنعمة هو البيان نفسه الذي باء فيه بالمعصية، وأن هذا التشابه الشديد بين الحالتين يعني التشابه الشديد في حال النفس وكأنها تلقت النعم ثم زاولت الذنب وهي في الحالة نفسها، لأن التفكير في النعمة وواجب شكرها قد غاب عنها فصارت تُزاوِل الذنب كما تتلقى النعمة وهذا غاية القصور والتقصير"[١].

والفاء في قوله: "فاغفر" عاطفة تعقيبية تفيد سرعة الاعتراف بالذنب وأنّ من اقترف ذنباً أو اكتسب جرحاً أو أحاطت به سيئة فاعترف به، فإنّ عليه المبادرة الفورية بطلب المغفرة بلا مهلة، وقد أنبئت الفاء وأبانت عن كرم الله وجوده وعطائه وفضله على عباده، وحذف مفعول "اغفر لي" والتقدير فاغفر لي ذنوبي، والعجيب أنه ذكر المفعول في حكاية قول العبد في نهاية الدعاء (فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) فما سرّ لك؟

والجواب أن هناك ارتباطاً بين كلمة الغفران والذنب، فإذا ذكر الفعل (غفر) عُلِم أن المطلوب غفره هو الذنوب، وأما ذكر المفعول في حكاية الله لقول الداعي فلأنه في مقام المنّة على العبد، فذكر الذنوب يشعر بعظم حاجة العبد إلى ربه تنبئ عن سبب طلب المغفرة من الله.

وجملة (فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) فيها توكيد بإنّ وضمير الشأن وأسلوب القصر، وسر التوكيد أنها جملة وقعت في موقع التعليل، ولأجل العناية بهذا السبب الذي فيه ثناء على الله جاء التوكيد في أوله كما ورد على صيغة القصر قصر صفة مغفرة الذنوب على الموصوف (أنت) لأنها الأقوى في التوكيد. ولذلك أفادت الجملة التوكيد والتعليل والاختصاص والإقرار بالوحدانية واستجلاب المغفرة[٢]. فهو وحده المختص والمتفرد بمغفرة الذنوب لا غيره. ومما يلفتنا في دراسة هذا الحديث كثرة الضمائر الواردة بأنواعها، سواء عادت إلى اسم الله الأعظم مركز النص ومحوره أم إلى القائل – الداعي، والجدول التالي يبين توزيعها:

---

(١) أبو موسى، من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٢٦١.

(٢) ينظر: الشوكاني، محمد (د. ت) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ٢/ ٣٣١. السعودية، طبعة وزارة الأوقاف.

الضمير ونوعه	عدد ورود الضمير مع اسم الله الأعظم	عدد ورود الضمير مع القائل
الضمير المنفصل البارز	٣	٢
الضمير المتصل (التاء)	١	١
الضمير المتصل (الياء)	٠	٥
الضمير المتصل (الكاف)	٦	٠
الضمير المستتر	١	٢
المجموع	١١	١٠

ويمكننا أن نفسر غلبة الضمائر الراجعة إلى اسم الله الأعظم كونه هو المنوط به الاستغفار والاسترضاء واستجابته لدعوة الداعي وفي ذلك أيضاً إشارة إلى أن الداعي ينكسر ويتصاغر وينكر ذاته في حضرة دعائه لربه ولأن المقام ليس مقام إبراز لذات المتكلم – الداعي – بل مقام تمجيد وثناء لله – المخاطب.

وأكثر الضمائر العائدة لاسم الله في الحديث جاءت للمخاطب لأن الدعاء هو مخاطبة الداعي ربه وطلبه مغفرة ذنوبه، وأما الضمائر التي تعود إلى الداعي جاءت للمتكلم، فكشفت عن خضوع الداعي وتذلله لربه، ولذلك اتجه إلى دعاء ربه بكل وسائله التعبيرية والتأثيرية طلباً في رحمة الله وعفوه وغفرانه.

وبهذا يكشف الحديث الشريف دور الضمائر البارز في ترابط النص وتماسكه، حيث ارتبطت جميع الضمائر بنواة النص، وهي جملة (اللهّم أنت ربي لا إله إلا أنت)، ولم تخل جملة من جمل النص من ضمير رابط محكم يشد بعض الجمل ببعض ويقود السابق منها إلى اللاحق. وكذا حروف العطف الستة (الفاء للتعقيب، والواو لمطلق الجمع) والتي ساهمت في تماسك النص وتناسقه وانسجامه مع فكرة الدعاء عبر ربط الكلمات والجمل والصيغ.

كما لا يفوتني التكرار مثل تكرار: (أبوء، اغفر فإنه لا يغفر) قصد التأكيد والاعتراف بالذنب والإلحاح على طلب المغفرة، وتكرار الضمير (أنا) الدال على خضوع العبد وتذلله. وتكرار اسم الموصول (ما) والذي حقق دوراً في تماسك النص لأنها تستلزم جملة فعلية. وتوالت الأفعال بأزمنها الثلاثة (خلقت – استطعت – صنعت – أعوذ أبوء – يغفر – اغفر) ودارت حول محور واحد هو الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة.

ويطالعنا الالتفات في قوله: "وأنا عبدك وأنا على عهدك" حيث التفت عن أسلوب التكلم إلى أسلوب الخطاب في قوله: "اغفر لي" لنكتة بلاغية هي تخصيص هذا الأمر لله سبحانه وتعالى دون غيره. وفي

قوله: "أنت ربي" التفت عن أسلوب الخطاب إلى أسلوب التكلم "أنا عبدك" لتخصيص العبودية لله تعالى دون غيره، وكذلك في قوله "لك" التفت من الخطاب إلى التكلم في قوله: "لي، وعليّ" لنكتة بلاغية وهي الإقرار والاعتراف بعظمة الرب وفضله على عباده. وكذلك التفت من التكلم في قوله: "فاغفر لي" إلى الغيبة في قوله: "فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" إشارة إلى قدرته سبحانه وتعالى على مغفرة الذنوب وتخصيص هذا الأمر وغيره به، ومجيئه على هذه الصيغة؛ لإيقاف العبد على أهمية هذا الأمر – الذنوب والمعاصي – وخطورته في حياته، وأن الله تعالى قريب مجيب يغفر لمن يشاء من عباده. وكذلك العدول عن الماضي في قوله: "خلقتني" إلى المستقبل بقوله: "فإنه لا يغفر الذنوب" ليصور أن مغفرة الذنوب مستمرة إلى أن تقوم الساعة.

ونلمح أن أحرفاً تكررت أكثر من مرة وهذا التكرار لصيق بالمعنى حيث نجد حرف الكاف تكرر (٧) مرات، وحرف التاء تكرر (٨) مرات، وحرف الباء تكرر (٩) بالإضافة إلى الأحرف التي تكررت بعدد أقل إلا أن الثلاثة الأول بارزة في الحديث وهذه الأحرف الثلاثة من الأحرف الانفجارية باصطلاح المحدثين، ومن الشديدة باصطلاح القدماء(١).

وإن " تناوب الأصوات المجهورة في المقاطع واستمرار طول الانفجار في الأصوات ينسق التنغيم ويساعد على تداخله مع الصيغة المجهورة.."(٢). ولا شك أن الاستغفار هو ندم حارق على اقتراف المعصية ورجوع إلى الله بعدما كان العبد لاهياً ساهياً غافلا فتكون هذه الحرف الشديدة الانفجارية شبيهة بصفارة إنذار تقرع سمعه وتجعله يفيق من غفلته ليدخل في رحاب الاستغفار الآمن والمريح والتوبة والإنابة. ومجيئ تكرار الضمير أنت في الحديث لإفادة الاختصاص، أي أنت دون غيرك.

الحديث الثاني: دعاء الاستخارة

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول: إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علاّم الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر

---

(١) ينظر: أنيس إبراهيم. (١٩٧٥م) الأصوات اللغوية، ٢٣.ط٥، القاهرة، مكتبة أنجلو المصرية.

(٢) البرسيم، قاسم، (١٩٩٣م) "التركيب الصوتي في قصيدة – أنشودة المطر" مجلة آفاق عربية، (ع ٥)، (١١٤)

لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثمّ رضني به، قال: ويسمي حاجته"[١].

الاستخارة استفعال من الخير ضد الشر[٢]، أو من الخيرة بكسر أوله وفتح ثانيه بوزن العنبة، اسم من قولك خار الله له، واستخار الله طلب منه الخيرة، والمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما[٣].

قول الراوي: "يعلمنا في الأمور كلها" عام أريد به الخصوص، فإن الواجب لا يُستخار فيه، إلا أن يتعارض واجبان أيّهما يبدأ به ويقتصر عليه. وقوله: "كالسورة" تشبيه ووجه الشبه هنا عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة كعموم الحاجة إلى القراءة في الصلاة. وفيه دليل على الاهتمام بأمر الاستخارة وأنه مُتأكَدٌ مُرّغبٌ فيه[٤].

والهمّ في قوله: "إذا همّ" "العزم لأن الخاطر لا يثبت فلا يستمر إلا على ما يقصد التصميم على فعله وإلا لو استخار في كل خاطر لاستخار فيما لا يعبأ به فتضيع عليه أوقاته"[٥] وفي العبارة حذف تقديره: يقول إذا همّ[٦]. واللفظ يشير إلى أول ما يرد على القلب يستخير فيظهر له ببركة الصلاة والدعاء ما هو الخير.

قوله: "فليركع ركعتين" الأمر للندب[٧] والاستحباب، جواب إذا المتضمن معنى الشرط فلذلك دخلت فيه الفاء، وهو هنا يُقَيّدُ مطلقَ حديثِ أبي أيوّب حيث قال: "صلّ ما كتب الله لك"، ويمكن الجمع بأن المراد "أنه لا يقتصر على ركعة واحدة للتنصيص على الركعتين، ويكون ذكرهما على سبيل التنبيه بالأدنى على

---

(١) العسقلاني، فتح الباريء ١٢/ ١٥٣، ١٤/ ٣٢٠. والعيني، عمدة القاريء ٧/ ٣٢٢.

(٢) ينظر: الطيبي على شرح المشكاة ٣/ ١٨٢.

(٣) ينظر: الراغب، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، المفردات في غريب القرآن، ١٦٨، ط٣، بيروت، دار المعرفة، وابن منظور، لسان العرب ٤/ ٢٦٦-٢٦٧. والعسقلاني، فتح الباريء ١٢/ ١٥٣.

(٤) ينظر: البغوي، شرح مصابيح السنة، ٢/ ٢٠٣. المباركفوري، تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/ ٤٨٢. والقاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠١. والطيبي الشرح على المشكاة ٣/ ١٨٣. والشوكاني، نيل الأوطار محمد بن علي الشوكاني ٣/ ٨٨.

(٥) والعسقلاني، فتح الباريء ١/ ١٥٥. وينظر: القاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠١.

(٦) العيني، عمدة القاريء ٢٣/ ١٧.

(٧) ينظر: القاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٢.

الأعلى"[١]. والمعنى: فليصل ركعتين، وفيه مجاز مرسل، وهو ذكر الجزء وإرادة الكل؛ لأن الركوع جزء من أجزاء الصلاة. وقوله: "من غير الفريضة" احتراز عن صلاة الصبح مثلاً، وثمّ في قوله: "ثم ليقل اللّهم" للتراخي، وفيه "دليل على أنه لا يضر تأخير دعاء الاستخارة عن الصلاة ما لم يطل الفصل"[٢].

وأول ما يلفتنا في هذا الحديث حسنُ المطلع وبراعةُ الاستهلال؛ حيث يُقدّم الداعي المستخير لربه بين يدي دعائه مقدمة يثني فيها على الله تعالى ويعترف فيها بقصوره وحاجته إليه. وفي ضوء هذا يمكننا أن نقسم الحديث إلى قسمين، قسم: خاص بالربّ سبحانه وتعالى وهو المسند إليه، وقد تضمن عبارات التمجيد والثناء والتعظيم والاعتراف بربوبيته، وقسم تلاه طلب العبد الفقير إلى ربه ودعائه وهو المسند إليه.

وإنّ أول ما يطالعنا في هذا الحديث الشريف التماسك والترابط بين أجزائه وكثرة الضمائر الواردة فيه، والمتوزعة بين الربّ سبحانه وتعالى وعبده المستخير، والأمر المُستخار فيه[٣]. حيث ربطت الضمائر العشرون المحالة إلى الله تعالى جمل النص بنواة النص وهو الجملة الأولى في النص "اللهم إني أستخيرك بعلمك" الدالة على علم الله الواسع ومعرفته بالغيب وحده وقدرته على توجيه الإنسان إلى اختيار القدر المناسب له ظرفًا وزمانًا ومكانًا. وأما الضمائر الثمانية عشر والمحالة إلى العبد المستخير فقد كشفت عن حاجة العبد إلى ربه بدلالة تسيد ضمير المتكلم فيها. ولا شك أنها قد ساهمت بشكل قوي وواضح في ربط آخر الحديث بأوله[٤]، ولمناسبة المقام لمقتضى الحال جاء هذا الدعاء على طريق الإطناب، وهو من مواضع الإطناب الحميدة؛ حيث نتلمس الترادف المعنوي في قوله: "أستخيرك بعلمك.. فإنك تعلم ولا أعلم، وأستقدرك بقدرتك فإنك تقدر ولا أقدر".

والابتداء بالدعاء بهذه الصيغة (اللّهم) مناسبٌ؛ لأنه يشتمل على الأسماء الحسنى، فكلها إما متضمنة أو مستلزمة لاسم الله تعالى، فناسب أن يقدّمها العبد المستخير بين يدي دعائه.

---

(١) العسقلاني، فتح الباري ١٢/ ١٥٥.

(٢) العيني، عمدة القارئ ٧/ ٣٢٢. وينظر: الشوكاني، نيل الأوطار ٣/ ٨٩.

(٣) ينظر: الغانمي، عبد العزيز (١٤٤٢هـ) التماسك النصي في بعض أدعية النبي – صلى الله عليه وسلم –١٣، مجلة جامعة طيبة، السنة ١٠، (العدد٢٧) (١٣).

(٤) ينظر: الفقي، صبحي، (٢٠١٥م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ٢٠١٥م، دار النابغة للنشر.

وإذا كان النداء يتصدر الأمور المهمة على اختلاف المنادَى والمنادِي فإن صيغة (اللهم) تتصدر أعظم ما ينادى من أجله وتختص بأعظم منادى(١). وهذه الصيغة بتركيبها من أقرب صيغ الدعاء للإجابة، وأجدرها بالقبول لما اشتملت عليه من تفخيم وتعظيم للمنادي يقابله شعور بالذلة والانكسار من المنادِي يرى فيها نفسه على حقيقتها كما نتلمس فيها تحقيق اللفت والانتباه والترقب والشوق وبعث مشاعر الوجل والرهبة.

واللهم كلمة كثر استعمالها في الدعاء وقد جاء عن الحسن البصري قوله (اللهم) مجتمع الدعاء، وعن النضر بن شميل من قال (اللهم) فقد سأل الله بجميع أسمائه(٢). والأصل في (اللهم) يا الله، فحذف حرف النداء الياء وعُوّض عنه الميم المشددة، وهذا خاص بهذا الاسم الشريف تعظيمًا وتفخيمًا، فلا يجوز تعويض الميم من حرف النداء في غيره، واستدل البصريون على أنها عوض من (يا) أنهم لم يجمعوا بينهما فلا يقال: يا اللهّم إلا في ضرورة كقول الشاعر:

وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولي كُلّمَا سَبّحتِ أو هَلّلْتِ يَا اللّهُمَّ(٣).

والميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علمًا على الجمع، فقالوا للواحد: أنت، فإذا جاوزوه للجمع قالوا أنتم، وإذا علم هذا من شأن الميم؛ فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يُسأل الله به في كل حاجة، وكل حال إيذاناً بجميع أسمائه وصفاته، فالسائل إذا قال: اللهم إني أسألك، كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم ؛إيذاناً

---

(١) ينظر: الراضي، (٢٠٠٨م) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ٢٩٥.ط١، القاهرة، دار البصائر.

(٢) ينظر: العسقلاني، فتح الباريْ ١٢/ ١٥٥. والسيوطي، جلال الدين، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ٢/ ١٦٣، بيروت، المكتبة العصرية.

(٣) ينظر: سيبويه، عمرو، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون ٢/ ١٩٦. ط٣، بيروت، عالم الكتب. والأنباري، عبد الرحمن، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/ ٣٤٣، تحقيق: محمد محي الدين، بيروت، المكتبة العصرية. والسمين الحلبي (١٤١٤هـ -١٩٩٣م)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: علي معوض وآخرون، ٢/ ٥٣، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية. والفخر الرازي، (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م) التفسير الكبير ٤/ ٢١٨.القاهرة، دار الحديث. والقرطبي، محمد (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٤٢٤-٤٢٣، القاهرة، دار الحديث وابن عادل، عمر (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) اللباب في علوم الكتاب، ٥/ ١٢٢، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية. والطيبي، حسين، (٢٠١٢م)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ٤/ ٦٦، ط١، الإمارات، جائزة دبي. والألوسي، وروح المعاني ٢/ ١٠٩. وزادة، محي الدين، (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) الحاشية على تفسير البيضاوي، ٣/ ٣٧. بيروت، دار الكتب العلمية. وعبيد، صباح، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ٢٧٩، ط١، مصر، مطبعة الأمانة.

بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم[١]. والابتداء بالمسند إليه – العبد – في قوله: "إني أستخيرك بعلمك" لأنه هو صاحب الحاجة والطلب، ولإظهار التضرع والتذلل والضعف والخشوع والالحاح في الطلب، وفي ذلك تأكيد على افتقار العبد إلى خالقه سبحانه وتعالى، والباء للتعليل[٢]، أي لأنك أعلم، وكذا في قوله: "بقدرتك". وقال الطيبي: يحتمل أن تكون للاستعانة[٣]، وأن تكون للاستعطاف[٤] ويكون المعنى: بحق علمك وقدرتك الشاملين النافذين. ويحتمل أن تكون للتوسل[٥]، فالمستخير يتوسل إلى الله بعلمه وقدرته.

والألف والسين والتاء للطلب فالمستخير ملحٌ على ربه أن يختار له الخير ويصرف عنه الشر، وهذا الإلحاح تبين حتى بألفاظ دعائه إضافة لحاله فتوافق اللسان مع الحال وهذا أقوى الدواعي للتأثير، والمراد بالتقدير: التيسير، وتقديم العلم على القدرة حسب الترتيب الوجودي، فإن العبد المستخير يسأل ربه أولاً بعلمه للخير، ثم تأتي بعد ذلك قدرة الله على تيسير الخير للعبد والفضل في قوله: "وأسألك من فضلك" إشارة إلى أن عطاء الرب فضل منه، وأنه لا حدود لهذا الفضل العظيم الواسع، وليس لأحد عليه حق في نعمة، فهو فضل محض لم يقابله مَنٌّ عوضاً فيما مضى ولا يقابله فيما يستقبل[٦].

والفاء في قوله: "فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم" تعليلية، وفيها قصر القدرة على الله تعالى، ومزية القصر هنا تبرّئ العبد من الحول والقوة فهو يحصرها لربه، وتخصيص القدرة والعلم هنا إشارة إلى تفرّد الله واختصاصه المطلق بهما. وأن ليس للعبد من ذلك إلا ما قدر الله له. وهذا من فقه الدعاء أن يأتي العبد في دعائه بما يناسبه من الصفات الحسنى. وتقديم القدرة هنا على العلم لتعلقها بتحصيل الفضل. والتعبير بالوصف (علام الغيوب) جمع الغيب؛ لأنه لما كان هذا الوصف للمبالغة والتكثير جاء بالجمع

(١) ينظر: الحميد، صالح، (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م) موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/ ٥٧٦، ط١، جدة، دار الوسيلة.

(٢) ينظر: العسقلاني، فتح البارئ ١٢/ ١٥٦. والقاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٢. والطيبي، الشرح على مشكاة المصابيح ١٨٣/٣. والشوكاني، نيل الأوطار ٣/ ٨٩.

(٣) ينظر: البغوي، شرح مصابيح السنة ٢/ ٢٠٣. والقاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٢.

(٤) ينظر: العيني، عمدة القارئ ٧/ ١٩. ٢٥/ ١٤١. والبغوي، شرح مصابيح السنة ٢/ ٢٠٣. والقاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٢. والطيبي، الشرح على المشكاة ٣/ ١٨٣.

(٥) ينظر: العسقلاني، فتح البارئ ١٢/ ١٥٦.

(٦) ينظر: العيني، عمدة القارئ ٧/ ١٩

معه مناسبة للتكثير[١]. "وهذا من باب الاكتفاء، أي: أنت كثير العلم بما يغيب عن السوي فإنك تعلم السر وأخفى فضلا عن الأمور الحاضرة والأشياء الظاهرة في الدنيا والآخرة"[٢] وهذا الكلام تذييل وتتميم وتكميل مع إطناب وتأكيد لما قبله[٣]. ومقام الدعاء خليق بذلك لما ورد إن الله يحب الملحين في الدعاء.

وتساوق الأفعال المضارعة تباعًا، من مثل: أستخير – أستقدر – أسأل – أقدر – أعلم؛ للدلالة على الحدوث والتجدد والاستمرار، وتصوير حالة العبد وافتقاره إلى ربه.

وقوله: "إن كنت" فيه إشكال، وهو الإتيان بصيغة الشك هنا، ولا يجوز الشك في كون الله عالمًا؛ والجواب "أن الشك في أن العلم متعلق بالخير أو الشر لا في أصل العلم"[٤]. قال الطيبي: "معناه اللهُمّ إنك تعلم، فأوقع موقع الشك على معنى التفويض إليه.. والرضا بعلمه فيه. وهذا النوع يسميه أهل البلاغة تجاهل العارف ومزج الشك باليقين"[٥].

وارتباط الضمير المستتر (أنا) بالفعل المضارع دليل على اهتمام الإسلام وشريعته بالإنسان وحاجاته الكثيرة والمتجددة. كما أن أفعال الأمر الواردة في الحديث من مثل: اقدره – ويسرّه – وبارك، اصرفه – اصرفني، جاءت؛ للدلالة على رجاء العبدِ ربه وطلبه تحقيق رغبته وتيسيرها وديمومتها، ومنّه أن يصرفه عن الشر ويصرف الشر عنه "ولم يكتف بسؤال صرف أحد الأمرين لأنه قد يصرف الله خيره عن المستخير عن ذلك الأمر بأن ينقطع طلبه له، وذلك الأمر الذي ليس فيه خيرة يطلبه، فربما أدركه. وقد يصرف الله عن المستخير ذلك الأمر لا يصرف قلب العبد عنه، بل يبقى متطلباً متشوقاً إلى حصوله فلا يطيب له خاطره، فإذا صرف كل منهما عن الآخر كان ذلك أكمل، ولذلك قال في آخره: "فاقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به".

ويجد الداعي في تتابع الألفاظ المنتهية بياء المتكلم من مثل: (أمري – لي – ديني – معاشي) وسيلة للتعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها العبد أو لتجسيد إحساسه وإلحاحه على ربه وبيان فقره وعوزه وحاجته

(١) ينظر: السامرائي، فاضل، (١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م)، من أسرار البيان القرآني، ٤١، ط٣، دمشق، دار ابن كثير.

(٢) القاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٣.

(٣) ينظر: القاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٣.

(٤) العسقلاني، فتح البارئ ١٢/ ١٥٦. والعيني، عمدة القارئ ٢٣/ ١٧. والقاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٣.

(٥) ينظر: المباركفوري تحفة الأحوذي ٢/ ٤٨٣. والقاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠٣.

إلى ربه، وهذا من طبيعة الدعاء. فضلاً عما في ذلك التتابع من توالى المدود التي تجسد رغبته وتصف حالته.

وممّا ورد في الحديث الشريف كثرة استخدام ضمائر الخطاب (المتصلة والمنفصلة والمستترة) وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى هو المتفرد بهذه الصفات المطلقة وأنه وحده المختص به، فكأن العبد يقول بلسان حاله: لا أستخير غيرك وهذا هو لسان مقاله، إضافةً إلى أنها أفادت الربط والتماسك وأكسبته سمة الجزالة والفخامة. ومجيئ اسم الإشارة (هذا) مرتين في الحديث الشريف؛ لإفادة أن الموضوع الذي يستخير فيه الإنسان قريب وحاضر في ذهنه.

وفي الحديث إيجاز بالحذف جاء في قوله: "اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري" أي: خير لي في ديني وخير لي في معاشي وخير لي في عاقبة أمري، وذلك لغرض الاختصار والإيجاز. ومثله: "شرّ لي في ديني.."

ويضفي التكرار سمته الفنية تكرار الأفعال المشتقة؛ لغرض تأكيد قدرته الله المطلقة وسعة علمه، من مثل: "أستقدرك بقدرتك وتقدر وأقدر واقدره، وبعلمك وتعلم وأعلم وعلّام". وكذلك الجناس المتطرف بين: "أستقدرك وقدرتك"(١) فاللفظ الأول يشير إلى طلب العون والاقتدار من الله تعالى، والآخر يشير إلى قدرة الله المطلقة النافذة على الكون.

واختتام الفقرة بقوله: "وأنت علام الغيوب" لإفادة تقوية للمعنى وتأكيده. وكذلك في قوله "إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري" وإتباعها بقوله: "وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري" وكذلك في قوله: "فاصرفه عني واصرفني عنه".

والجمع بين لفظتي "ديني ومعاشي" في الخير والشر "يدل على أن ما كان خيراً في دين العبد المستخير كان خيراً في معاشه، وما كان شراً على دين المرء كان شراً على معاشه. وتقديمه على الشر للتفاؤل وهو الأليق مع الله والأنسب لحال العبد.

ويروعك حسن التقسيم في قوله: "ديني ومعاشي وعاقبة أمري" فالعبد لا يخرج عن هذه الثلاث الحالات، وكذلك في قوله: "فاقدره لي، ويسّره لي، وبارك لي فيه" وبهذه الثلاث يكمل الخير للمستخير.

---

(١) ينظر: المدني، علي، (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م)، أنوار الربيع في أنواع البديع ١/ ١٧١-١٧٢.ط١، العراق، مطبعة عثمان.

وفي قوله: "فإنك تعلم ولا أعلم" تذييل أخرج مخرج المثل، فهو كالعلة لجملة "أستخيرك بعلمك"، وكذلك في قوله: "فإنك تقدر ولا أقدر" بعد قوله: "أستقدرك بقدرتك". وفي اجتماع الترادف المعنوي والتذييل إفادة للتبرؤ من الحول والاختيار، وهما أسّ الاستخارة. وتأمل روعة الترتيب وجودة السبك وتعانق الألفاظ وفق ترتيب المعاني في الذهن ووفق حدوث الأفعال في قوله صلى الله عليه وسلم – "فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه" فتقدير الله أولاً ثم تيسير الأسباب الموصلة إلى ما قدر الله ثانياً ثم حصول المقدور لتحل البركة أخيراً.

ولم يذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – حصول المقدور لأن الله إذا قدر شيئاً وأراده وقع فلا حاجة للذكر. وفي قوله: "واقدر لي الخير حيث كان" إطناب، حيث ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم في أي مكان وفي أي زمان. وفعل الأمر ههنا مراد به التيسير على سبيل المجاز.

وقام الطباق في قوله: "إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي" بوظيفته الذاتية الأصيلة في حرص الداعي على الاحتشاد لتعيين الخير وتمييزه عن الشر. وفي قوله: "رضّني" بالتشديد دليل على أن من أنعم الله عليه بنعمة يجب أن يرضى بها فلا يندم على طلبه ولا على وقوعه لأنه لا يعلم عاقبته وإن كان حال طلبه راضيا[١].

الحديث الثالث: الإيواء إلى الفراش طاهرًا

عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا أتيت إلى مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: "اللهم إني أسلمت وجهي إليك – وفي رواية نفسي–، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مُتَّ مُتَّ على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول"[٢].

---

(١) ينظر: العسقلاني، فتح الباري ١٤/ ٣٢١.

(٢) العسقلاني، فتح الباري ١٢/ ٩٢. والعيني، عمدة القاري ٢٢/ ٤٣٩. والنيسابوري، مسلم، (١٤٣٣هـ– ٢٠١٠م) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/ ٢٧، ط٥،بيروت، دار الكتب العلمية.

المضجع موضع النوم(١)، ووضوءك منصوب بنزع الخافض أي: كوضوئك للصلاة(٢). والأمر للندب. وأصل: اضطجع: اضتجع لأنه من باب الافتعال، فقلبت التاء طاء(٣). "وخص اليمن لفوائد منها: أنه أسرع إلى الانتباه، ومنها أن القلب متعلق إلى جهة النوم فلا يثقل بالنوم، ومنها أنه أصلح للبدن.."(٤). والوجه هنا الذات والنفس، والمعنى: أسلمت ذاتي – لأن المراد من الوجه الذات – منقادة لك تابعة لحكمك إذ لا قدرة لي على تدبيرها ولا على جلب ما ينفعها إليها ولا رفع ما يضرها عنها(٥).

قال الطيبي: "في هذا النظم غرائب وعجائب لا يعرفها إلا الثقات من أهل البيان؛ قوله: "أسلمت نفسي" إشارة إلى أن جوارحه منقادة لله في أوامره ونواهيه، وقوله: "وجهت وجهي" إلى أن ذاته وحقيقته مخلصة له بريئة من النفاق.

وقوله: "فوضت" إلى أن أموره الخارجة والداخلة مفوضة إليه لا مدبر لها غيره، وقوله: "ألجأت ظهري إليك" بعد "وفوضت أمري" إلى أنه بعد تفويض أموره – التي هو مفتقر إليها وبها معاشه وعليها مدار أمره – يلتجأ إليه مما يضره ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة"(٦).

ما يدهشنا في هذا الحديث الموسيقى الساحرة في الجمل، ويعود هذا إلى الانسجام في إيقاع الكلمات، وإلى هذا التآلف المدهش بين مخارج الحروف، لا نرى ازدحاماً بحرف ثقيل في الحديث ولا انتقاماً مفاجئاً من إيقاع. هناك تناسب بين الإيقاع وجوّ النوم الهادئ الذي يهيئ الجو المأنوس المأمون الذي يشعر صاحبه بالطمأنينة؛ لأنه يسلم نفسه إلى الله ولأنه يتوجه ويلجأ إليه(٧). كما ساهم في هذا الإيقاع الموسيقى

---

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٨/ ٢١٩.

(٢) ينظر: العيني، عمدة القارئ ٢٢/ ٤٤٠.

(٣) ينظر: سيبويه، ٤/ ٢٣٩. وابن جني، عثمان، (١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م)، سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق: حسن هنداوي ١/ ٢١٧، ط١، دمشق، دار القلم. وابن منظور، لسان العرب ٨/ ٢١٩.

(٤) العسقلاني، فتح الباريً ١٢/ ٩٣.

(٥) ينظر: العيني، عمدة القارئ ٣/ ١٥٧. ٢٢/ ٤٤٠. والبغوي، شرح مصابيح السنة ٣/ ١٦٨. والقاري، مرقاة المفاتيح ٥/ ٢٢٦

(٦) الطيبي، الشرح على المشكاة ٥/ ١٥٠.

(٧) ينظر: الصباغ، محمد، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) التصوير الفني في الحديث النبوي ٣٩٥، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي. والصباغ، محمد، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه،٩٥، ط٨، بيروت، المكتب الإسلامي.

تكرار كلمة (إليك) التي هي بمثابة قفل ينهي الجملة، وكذلك فإن الدعاء ختم بمخاطبة الله سبحانه وتعالى بصيغة المفرد وبأفعال تنتهي بالتاء المهموسة التي تلائم جو الاسترسال في النوم(١).

قال العيني: "قوله: رغبة ورهبة منصوبان على المفعول له على طريقة اللف والنشر، أي: فوضت أموري إليك رغبة وألجأت ظهري إليك من المكاره والشدائد إليك رهبة منك؛ لأنه لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك"(٢).

كذلك نلمس الإجمال والتفصيل فقد ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – متعدداً على جهة التفصيل في قوله: "أسلمت نفسي وفوضت أمري وألجأت ظهري"، ثم أجملها في قوله: "رغبة ورهبة"، فالمؤمن لا يستعين على هذه الأمور إلا لأمرين: رغبة ورهبة، كما أن هذه الأمور من الصفات التي يختص بها الخالق سبحانه وتعالى فعندما يلجأ المؤمن إلى خالقه ليس له سوى طريقين لا ثالث لهما الرغبة والرهبة، وهذان وضعان لا يمكن مخالفتهما بحكم طبيعة الإنسان، وبذلك نلحظ الاتصال في عناصر التفصيل.

ويطالعنا أيضًا الترصيع بين فقرات الحديث حيث جاءت متفقة وزنا وقافية، على النحو التالي:

أسلمت ــــــــ نفسي ــــــــ إليك

فوضت ــــــــ أمري ــــــــ إليك

ألجأت ــــــــ ظهري ــــــــ إليك

ولا يخفي علينا أن تكرار (إليك) خمس مرات جاء ملائماً لدلالة هذا الدعاء، فالإنسان يتقلب في نعم الله وأحوالها فلا حول له ولا قوة له إلا بالله العلي العظيم، فهو في أشد الحاجة إلى ربه؛ لأنه هو المختص والمتفرد إليه يرجع كل شيء وفي الحديث حذف في قوله: "وبنيك" أي آمنت، حذف لدلالة الأول عليه. والجمع بين (نبيك وأرسلت) دلالة على الاكتمال لنبين محمد– صلى الله عليه وسلم – فقد جمع النبوة والرسالة.

وكذلك أسهم الطباق في تماسك النص وتباين المعنى وذلك بين (وجه وظهر، ورغبة ورهبة، ومنك وإليك) وفيه شمول لحالة الإنسان، وفي تكرار ياء المتكلم (وجهي – أمري – نفسي) إشارة إلى اشتمال

---

(١) ينظر: الصباغ، الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٩٢.

(٢) العيني، عمدة القارئ ٣/ ١٥٧. وينظر: القاري، مرقاة المفاتيح ٥/ ٢٢٧. والطيبي، الشرح على المشكاة ٥/ ١٥٠.

الدعاء على الجوانب الرئيسة الأربعة الخاصة بالإنسان، فالنفس ذاته، والوجه ما بين يديه، والظهر ما خلفه ويمنه وشماله، وأمره ما يواجهه في الحياة.

والتعبير باسم الموصول وصلته في قوله: "آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت" لإفادة التذكير بنعمتي الإنزال والإرسال.

وقوله: "آمنت بكتابك" تخصيص بعد تعميم في قوله: "أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك" ثم قوله: "ونبيك الذي أرسلت" تخصيص من التخصيص[١].

الحديث الرابع: دعاء الاستفتاح

عن أبي هريرة قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا كبر في الصلاة سكت هنيّة – فترة قليلة – قبل أن يقرأ. فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب البيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد"[٢].

صدّر الحديث بصيغة (اللهم)؛ لأجل المعاني الجامعة الشاملة المكنونة في الصيغة كونها اسم الله الأعظم الجامع لكل الأسماء الحسنى، وهذا من تمام المناسبة. والمراد من المباعدة محو ما حصل من الذنوب والخطايا والعصمة عما سيأتي منها، يعني إن كان المراد بالذنوب التي اقترفت فالمراد بها محوها، وإن كانت التي ربما تأتي فالمراد العصمة منها، وإذا كانت حقيقة المباعدة إنما هي في الزمان والمكان كان استعمالها هنا مجازاً، قال الشوكاني: "في اللفظ مجازان: الأول استعمال المباعدة في الإزالة بالكلية مع أن أصلها لا يقتضي الزوال"[٣]. قالوا: وأصل باعد: أبعد فأخرج إلى صيغة المفاعلة للمبالغة لأن المفاعلة إذا

---

(١) ينظر: الطيبي، الشرح على المشكاة ٥/ ١٥١.

(٢) العسقلاني، فتح الباري ٣/ ١٩٦. ومسلم ٥/ ٨٢. والعيني، عمدة القارئ ٥/ ٤٢٧.

(٣) الشوكاني، نيل الأوطار ٢/ ٢٠٦.

لم تكن للمبالغة فهي للمبالغة، وإذا كانت للمبالغة أفادت التكثير[(١)]، وقيل: تفيد البعد من الجانبين فكأنه قيل: قيل: اللهم باعد بيني وبين خطاياى وباعد بين خطاياى وبيني"[(٢)].

ونلاحظ أنه ترقى – صلى الله عليه وسلم – في هذا الدعاء فطلب أولاً مطلباً يليق بالعبودية وهو المباعدة ثم ترقى فطلب التنقية ثم ترقى فطلب الغسل فإنه أبلغ منها، وكذلك أدخل حرف التشبيه على التنقية وأسقطه في الغسل تحقيقاً للنقاء من كل وجه لأن الغسل بثلاثة أشياء أبلغ من التنقية بالماء وحده[(٣)].

والخطايا جمع خطيئة وهي الذنوب والمعاصي، ومجيئها على صيغة الجمع لكثرتها. ولأجل المبالغة في المباعدة استعمل البيان الشريف التشبيه كوسيلة لتحديد المسافة التي يريد أن تكون بينه وبين الخطايا حتى يمنعه البعد من اقترافها – كما باعدت بين المشرق والمغرب – وهذا مبني على أن التقاء المشرق والمغرب مستحيل، فكأنه أراد ألا يبقى لها منه اقتراب بالكلية. "وإنما شبه بعدها ببعد المشرق والمغرب مبالغة في البعد لأنه ما في المشاهدات أبعد مما بين المشرق والمغرب فيكون المراد من المباعدة محو الذنوب وترك المؤاخذة بها أو المنع من وقوعها والعصمة منها، وقالوا أراد أنه لا يبقى لها منه اقتراب بالكلية"[(٤)].

وفي تصدير هذه الجملة بالنداء العظيم وبفعل الأمر الذي أريد به الدعاء والتضرع، وفي إضافة بيني والخطايا إلى ضمير المتكلم استعطاف واعتراف صريح بها يتطلب إزالتها وإزالة أثرها، وأنه هو المتسبب في جلبها ولذلك يستجلب المغفرة والتوبة ويستدر الرحمة والعفو. ولذلك أتبع الدعاء بالمباعدة دعاءً آخرَ هو منه بسبيل لأنه يشترك معه في الغاية، فقال ملحاً: "اللهم نقني من الخطايا..". ونقني تأتي بالهمز وبالتضعيف (نقني وأنقني)، إلا أن الأول أبلغ في طلب التنقية من الثانية ولذلك أتى بالصيغة التي تدل على زيادة في طلب التنقية وهذا أليق بمقام التضرع والتذلل والخضوع والاعتراف لله تعالى، فالعبد مليء

---

(١) ينظر: العيني، عمدة القارئ ٥/ ٤٣٠. والقاري، مرقاة المفاتيح ٥/ ٣١٥. والطيبي، الشرح على المشكاة ٢/ ٣٥٣.

(٢) شمس الحق، محمد (د.ت)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٢/ ٣٤٤، ط٢، بيروت، دار الكتب. وينظر: الشوكاني، نيل الأوطار ٢/ ٢٠٦.

(٣) ينظر: ابن الملقن، عمر، (١٤١٧هـ– ١٩٩٧م)، الإعلام بفوائد الأحكام ٣/ ١٠، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، ٣/ ١٠، ط ١، الرياض، دار العاصمة.

(٤) العسقلاني، فتح الباري ٣/ ١٩٩. والعيني، عمدة القارئ ٥/ ٤٣٠، وشمس الحق، عون المعبود ٢/ ٣٤٤، والشوكاني، محمد (١٩٨٤م)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين ١/ ١٥٢، ط١، بيروت، دار القلم. والمناوي، فيض القدير ٢/ ٤٢٦، والخطاب، أسماء، (١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م) التقابل في الحديث الشريف، أسماء الخطاب، ٨٥-٨٦، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر.

بالخطايا والذنوب لذا جيء بالصيغة التي تنسجم مع التنقية. والإظهار في (الخطايا) بدلاً من الإضمار؛ لعلّية التذلل والخضوع وتذكر الذنوب وديمومتها في وعيه.

وإمعاناً في البيان والإيضاح يُعين هذه التنقية وأنها تنقية تشبه تنقية الثوب، وهذا الثوب ليس على إطلاقه بل الثوب الأبيض على وجه الخصوص. وسر تخصيص الأبيض بالذكر لأنه "لما كان الدنس في الثوب الأبيض أظهر من غيره من الألوان وقع التشبيه، قاله ابن دقيق العيد"[١].

وأيضاً اللون الأبيض يكون ظاهراً وباطناً وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال العبد أمام ربه والإتيان بصيغة الفعل " يُنقى " للمجهول إشارة إلى التركيز على الفعل وهو التنقية وحدها دون النظر إلى من وقع منه الفعل.

يقول أحمد ياسوف: "في الحديث تجتمع لذة البرودة المنعشة والنظر إلى اللون الأبيض في الثلج والبرد وهي صورة لمسية تجعل المرء يتحسس هذه البرودة على جلده وتتغلغل في أعماقه، والثلج والبرد مما يبعد الطبع الصحراوي عن صور الحديث النبوي، وهذا التصوير يومئ إلى أن الخطايا دنس للنفس البشرية واسوداد لمعالمه الشعورية"[٢].

ونشير إلى قضية وهي: أنه إذا كان الدعاء الأول (اللهم باعد بيني وبين خطاياى) هي – الخطايا– ما يحذره منها لا أنه وقع في شيء منها بالفعل كانت الخطايا في الدعاء الثاني (نقني من الخطايا) هي التي وقع فيها الفعل ولهذا يطلب التنظيف والتنقية فعلي هذا يكون التعبير ترقياً من الأدنى إلى الأعلى. وإذا كانت الجملة الأولى بطلب المباعدة من الخطايا والثانية بطلب التطهير منها كانت الثانية بمثابة التوكيد لمضمون الأولى وهذا هو سر الفصل بين الجملتين لكمال الاتصال.

ويكرر صيغة (اللهم) قصد اللذة والتفخيم والتعظيم، وهذا ملائم لجو الدعاء والتضرع فيقول: "اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد" أي طهرني من الذنوب، قال البغوي: "وذكرُ كلِّه مبالغةٌ في مسألة

---

(١) العسقلاني، فتح البارئ ٣/ ١٩٩. والعيني، عمدة القارئ ٥/ ٤٣٠. والصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، ٤٠٠. وياسوف، أحمد، (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) الصورة الفنية في الحديث النبوي، ٦٠٤، ط٢، دمشق، دار المكتبي.

(٢) ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف ٥٤٥.

التطهير لا أنه يحتاج إلى ثلج وبرد "[١]. وإظهار الخطايا للمرة الثالثة في موقع الإضمار للإلحاح على الإجابة.

وفي هذا التعداد بذكر الثلج والبرد إلى الماء ما يشير إلى اهتمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – بشأن هذه الذنوب ورغبته في محوها محوًا لا يبقى له أي أثر.

قال الخطابي: "هذه أمثال ولم يرد بها أعيان هذه المسميات وإنما أراد بها التوكيد في التطهير من الخطايا والمبالغة في محوها عنه، والثلج والبرد ماءان لم تمسهما الأيدي ولم يمتهنهما استعمال فكان ضرب المثل بهما أوكد في بيان معنى ما أراده من تطهير الثوب وقال ابن دقيق العيد: عبر بذلك عن غاية المحو فإن الثوب الذي يتكرر علية ثلاثة أشياء منقية يكون في غاية النقاء. وأشار الطيبي إلى أن المطلوب من ذكر الثلج والبرد بعد الماء شمول أنواع الرحمة والمغفرة بعد العفو لإطفاء حرارة عذاب النار"[٢].

وقال التوربشتى: "ذكر أنواع المطهرات المنزلة من السماء التي لا يمكن حصول الطهارة الكاملة إلا بأحدها بيناً لأنواع المغفرة التي لا تخلص من الذنوب إلا بها، أي: طهرني بأنواع مغفرتك التي هي في تمحيص الذنوب بمثابة هذه الأنواع الثلاثة في إزالة الأرجاس ورفع الأحداث"[٣].

الحديث الخامس: دعاء السفر

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر، كبر ثلاثاً ثم قال تعالى: "لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ " [الزخرف: ١٣] اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى. اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنّا بعده. اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر

---

(١) البغوي شرح مصابيح السنة للبغوي ١/ ٤٨٣.

(٢) العسقلاني، فتح البارئ ٣/ ١٩٩. وصحيح مسلم ٥/ ٨٢، ح ٥٩٨. والطيبي الشرح على المشكاة ٢/ ٣٥٤. والشوكاني، نيل الأوطار ٢/ ٢٠٧. والمناوي، فيض القدير ٢/ ٤٢٦.

(٣) العسقلاني، فتح البارئ ٣/ ١٩٩. والعيني، عمدة القارئ ٥/ ٤٣٠. وشمس الحق، عون المعبود ٢/ ٣٤٤.

وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد " وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون"[(١)].

يدور الحديث حول طلب الإعانة من الله على التوفيق في الطاعة ودفع مشاق السفر وآلامه وملازمة العبد للتوبة في جميع أحواله والابتداء بالتكبير عند استوائه – صلى الله عليه وسلم – على دابة إيذاناً بعظمة الله تعالى وكبريائه، واستحقاقاً لشكر المنعم على هذا التسخير والتذليل. وتكرار التكبير ثلاث مرات فيه دلالة على المبالغة في تنزيه الله تعالى وتقديسه فهو أكبر من كل شيء.

ولا شك أن التكبير مطلق يعم ويشمل جميع وسائل السفر، وإنما تقيده هنا بقوله: "على بعيره" جاء لوصف واقع حال النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما كان يخرج مسافرًا. والتنكير في قوله: "سفر" إشارة إلى إفادة العموم، أي: عموم السفر؛ برًا وجوًا وبحرًا، طال السفر أم قصر، فلابد من هذا الذكر.

وافتتاح هذا الشكر بالتسبيح لأنه جامع للثناء والتنزيه واستحضار الجلالة بطريق الموصولية لما يؤذن به الموصول من علة التسبيح حتى يصير الحمد الذي أفاده التسبيح شكرًا لتعليله بأنه في مقابلة التسخير لنا[(٢)].

ومجيئ الآية في هذا المقام "لتنبيه القائل للموت الذي قد ينشأ عن الركوب من تعثر الدابة وسقوطه عنها، فيحمله ذلك على الاستكانة لله والتوبة عن سائر المخالفات"[(٣)].

قوله: "إنّا نسألك" لتأكيد الدعاء والاحتياج إلى تحقيقه، ولذا نجد أن الفاعل المعنوي (نا) تقدم على خبره الفعلي نسألك؛ للتوكيد والعناية بأمر السؤال. وإيثار "نسألك" على ندعوك لأن السؤال فيه طلب وترقب وتلهف للإجابة كما أن في السؤال إحساساً بالعجز وشدة الحاجة.

والإتيان باسم الإشارة (هذا) لتعيين المشار إليه وهو السفر؛ لأن الوصف باسم الإشارة له "مزية يلمسها الذوق لأنه يجسم المعاني المعقولة وينقلها من حيز إلى حيز الموضوع تحت البصر والمشار إليه

---

(١) صحيح مسلم٩/ ٩٣.

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٥/ ١٧٤-١٧٥.

(٣) علان، محمد، (د. ت) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٤١. بيروت، دار الكتاب العربي.

بالبنان فإذا كان المشار إليه محساً زاده تمييزاً وانكشافاً بتوجيه السامع إليه لزيادة اهتمام المتكلم به"[١] وكذلك تكراره لإفادة العناية والاهتمام بشأنه.

وفي قوله: "البر والتقوى ومن العمل ما ترضى" إطناب، حيث عطف التقوى على البر والعطف هنا من باب عطف العام على الخاص لأن التقوى كلمة جامعة لفعل الأوامر واجتناب النواهي، أما إذا كانت التقوى بمعنى اجتناب المحرمات، والبر فعل الواجبات فيكون العطف من باب عطف الضد على الضد لأن معنيهما حينئذ متغايران[٢]. والاقتصار على هذه الثلاث الخصال كونها مرتكز الأعمال الصالحة. والجمع بينهما لأن في البر رضا الناس وفي التقوى رضا الله فمن جمع بينهما تمت سعادته[٣].

والجمع بين العمل والبر والتقوى تسمى عند البلاغيين بمراعاة النظير حيث نجد أن بينها مناسبة جلية إذ إنها كلها تمثل أفعال خير وأعمال طاعة. ولا يخفى عليك استيفاءه الأقسام، فإن المطلوب سؤاله ثلاثة أشياء هي أعظم ما ينبغي للمؤمن سؤاله خصوصاً في السفر.

وتقديم الجار والمجرور على متعلقه في قوله: "ومن العمل ما ترضى" للعناية بشأن العمل والاهتمام به، وتعميم العمل بـ (أل) الجنسية ليشمل كل عمل مرض. ويضاف إلى هذه الدلالة المعنوية ذلك التوافق الصوتي بين (التقوى وما ترضى) بسبب هذا التقديم.

وتكرار صيغة (اللهم) في قوله: "اللهم هوّن علينا سفرنا" وما بعده زيادة في التضرع وإظهارًا لشدة الحاجة والافتقار إلى الله واللجوء إليه. وتأمل دقة لفظة (هوّن) في التعبير وذلك من خلال حروفها ذات الجرس الهادئ اللطيف والتي توحي بالتيسير وصيغة فعّل التي تشعر بالحرص على طلب التهوين فناسب أن يقابل شدة السفر ومشقته بطلب التسهيل[٤].

---

(١) علي، عزالدين، (١٣٩٢هـ – ١٩٧٣م)، في الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ٤١١، القاهرة، دار الطباعة المحمدية

(٢) ينظر: أبو حيان، محمد، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م) البحر المحيط ٣/ ٤٣٧. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

وابن عطية، عبد الحق، (١٤١٩هـ– ١٩٩٨م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ١٥٠. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية

(٣) ينظر: الشوكاني، محمد (١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ١/ ٤٩٣. ط٤، الرياض، مكتبة الرشد.

(٤) ينظر: ابن القيم، (١٤١٦هـ –١٩٩٦م)، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، ٢/ ٣٨٧، ط١، مكة المكرمة، مكتبة الباز.

والتعبير بالظاهر (السفر) موقع المضمر زيادة تمكن هذا الاسم في ذهن السامع اعتناء به واهتمامًا بما يتعلق بشأنه إذ الحديث كله حوله يدور.

وفي قوله: "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل" كنايتان رقيقتان، الأولى كناية عن الملازمة والأنس والإحساس بالقرب والمحبة والمودة حيث إن الله عز وجل مصاحب له في رحلته بالعناية والرعاية والحفظ من الحوادث والنوازل[١].

والأخرى: كناية عن اطمئنانه على أهله فهم في رعاية الله وحفظه، وهذا يؤدي إلى اطمئنانه واستقراره النفسي. والعبارتان قصر صفة على موصوف حيث قصر الصحبة والخلافة على الله تعالى دون غيره. وتكرار كلمة (الأهل) للعناية بشأن الأهل وما يوحي به توديعهم لحظة الفراق. وخلا تركيب الجملتين من التوكيد بإنّ فلم يقل: اللهم إنك أنت الصاحب في السفر؛ لتتوافق الأساليب الثلاثة في نظمها، والسر في ذلك أن العناية فيه متوجهة إلى المخاطب وهو الله المدلول عليه بضمير الفصل أنت، بينما السوابق كان الضمير فيها للمتكلم[٢].

ثم ينتقل النبي – صلى الله عليه وسلم – من طلب الدعاء إلى الاستعاذة فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل" مصدراً هذا بصيغة (اللهم) إعلاناً عن شدة افتقاره إلى ربه وزيادة في الخضوع واللجوء إليه دون سواه.

وفيه التفات حيث انتقل من صيغة الجمع إلى صيغة الإفراد، ففي مقام الدعاء يقول: "اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى...اللهم هوّن علينا" وفي مقام طلب الاستعاذة يقول "اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر" ونكتة ذلك لفت الانتباه إلى أهمية هذا الأمر للمسافر والذي يختص بالاستعاذة بالله من أضرار السفر، بالإضافة إلى الانتقال من التعميم إلى التخصيص حيث إن طلب الدعاء جاء بالجمع لإفادة الإحاطة والشمول ولإشراك جميع الأمة معه في هذا التوفيق لطاعة الله، أما مشاق السفر والتي استعاذ منها بصيغة الإفراد فهي من الأمور التي تخص المسافر وحده.

---

(١) ينظر: الطيبي، الشرح على المشكاة ٥/ ١٧٧.

(٢) ينظر: العطوي، عويض، (١٤٣٠هـ) أحاديث السفر دراسة بلاغية في البليان النبوي، مجلة جامعة الإمام، (العدد ١٢)، (٣٩).

وفي قوله: "واطو عنا بعده" استعارة مكنية فقد شبه الطريق بفراش طويل ممتد ثم حذف المشبه به ورمز إليه بصفة من صفاته وهي الطي، وفي هذه الاستعارة ما يوحي بحصول المطلوب وسهولته وسرعته فطي الفراش أسرع وأسهل من بسطه.

والوعثاء: الشدة والمشقة والتعب، والمفردة تجسد مدى الصعوبة والشدائد والمعاناة الجسدية والنفسية التي يلاقيها المسافر. يقول الشريف الرضي: "من وعثاء السفر مجاز وهي فعلاء من الوَعْث وهو ضد الجدد [وهو الطريق السهل الذي لا وعورة فيه] والسير فيه يشق على القدم والمنسم [وهو خف البعير أي أنه شاق على الإنسان والحيوان] فجعل – صلى الله عليه وسلم – طول السفر وشقته وتكاليفه ومشقته بمنزلة الوَعْثاء التي قاطعها تعب والسري فيها نَصِبٌ"(١)، ولذا قدّمه على الكآبة وسوء المنقلب. ثم يستعيذ – صلى الله عليه وسلم – من كآبة المنظر، أي من كل منظر يعقب النظر إليه شدة وحزن وهم وغم، إنه تعبير فيه كناية عن مدى الانكسار النفسي للمسافر عند تعرضه لحادث أو إصابته بآفة أو يرى ما لا يسره...

ثم يستعيذ بالله من أن يرجع من سفره ويعود إلى بيته فيجد ما يسوؤه سماعه في ماله أو أهله فيقول: "وسوء المنقلب في المال والأهل".

ونلحظ ترتيباً لفظياً متوافقاً كل التوافق مع الترتيب المعنوي، فأول ما بدأ به الرسول – صلى الله عليه وسلم – سؤال الله البر وهو الخير في عمومه ثم التقوى وهي الوقاية من غضب الله وعذابه ثم العمل المحقق لرضا الله ثم طلب تهوين السفر وطي بعده ثم التعوذ من وعثاء السفر وهو أول ما يتلبس به المسافر من وعورة الطريق وتغيير هيئته ثم ثنى بكآبة المنظر وتكون نتيجة مترتبة على مشاق السفر ومتاعبه ثم ثلث بالاستعاذة من سوء العودة إلى موطنه حيث إنها آخر شيء في رحلة سفره.

ثم يختم حديثه – صلى الله عليه وسلم – بقوله: "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون" وفيه ثناء وشكر لله تعالى على توفيقه وامتنانه وتيسيره. وحذف المسند إليه نحن آيبون ونحن تائبون. للتعبير عن نعمة إتمام السفر وتحقيق البغية ونشوة الفرح والسرور واللهفة بالعودة والسلامة من السفر إلى الديار ومثل هذا المقام لا يحتاج المتكلم فيه إلى إطالة الكلام وبسط الحديث وإنما يؤثر الإيجاز اكتفاء بالقرينة الدالة عليه.

---

(١) الشريف، الرضي، (د. ت)، المجازات النبوية، تحقيق: طه الزيني، ١٤١، القاهرة، مؤسسة الحلبي، وينظر: شرح الطيبي على المشكاة ٥/ ١٧٧.

وإيثار لفظة (آيبون) دون راجعون لإحداث نغم موسيقي يتناغم وينسجم دون تكلف أو صنعة مع المتماثلة "تائبون عابدون حامدون" وفي ذلك تباشير سعادة وفرح يشعر بها المسافر عند عودته.

وتقديم الجار والمجرور في "لربنا حامدون" للاختصاص[١]؛حيث قصر صفة الحمد على الله تعالى وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى يستحق الحمد والثناء لنعمه العظيمة وتيسير أمر السفر وتيسيره.

ولتأكيد الثقة في استجابة الله الدعاء غلّب الأسلوب الخبري على الأسلوب الإنشائي في قوله: "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى" وفي "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل" وفي "اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر" وكلها أخبار لفظاً إنشاء معنى، ولم يأت إلا بإنشاء واحد وهو قوله: "اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده"[٢].

الخاتمة

وبعد، فهذا ضرب من الدراسة كلما قطعت فيه شوطًا أحسست بقصوري فيه وضآلة ما في يديّ منه، وكيف لا؟ وأنا بصحبة حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال، ومع ذلك فقد جهدت في رفع الحجب وكشف الستر عن هذه الدراسة حتى تبرجت مباحثها ومطالبها أمامي فبان لي ما يلي:

١- أن صيغة الدعاء بصيغة (اللهم) مناسبٌ جدًا جدًا؛ لأنها مجتمع الدعاء، ولأنها تشتمل على أسماء الله الحسنى، وكذلك فإن صيغة (اللهم) تتصدر أعظم ما ينادى من أجله وتختص بأعظم منادى. وهذه الصيغة بتركيبها من أقرب صيغ الدعاء للإجابة وأجدرها بالقبول لما اشتملت عليه من تفخيم وتعظيم للمنادي يقابله شعور بالذلة والانكسار من المنادِي يرى فيها نفسه على حقيقتها كما نتلمس فيها تحقيق اللفت والانتباه والترقب والشوق وبعث مشاعر الوجل والرهبة. وأن تكرار الدعاء بهذه الصيغة يكون؛ لتأكيد ضراعة العبد وشدة حاجته إلى الله في كل أحواله ومناشطه.

---

(١) ينظر: الطيبي، الشرح الطيبي على المشكاة ٥/ ١٧٧.

(٢) ينظر: محمد، عبد الرزاق، (١٤١٨)، في بلاغة الدعاء النبوي، ٨٨، كتاب صدر عن رابطة العالم الإسلامي، (العدد ١٨١)، (٨٨).

٢- تميزت ألفاظ الحديث الشريف بالسلاسة والوضوح ودقة الانتقاء والإيحاء من مثل: (عبدك وعهدك، خلقتني، الذنوب صنعت، أستخيرك، اغسل، باعد، خطاياي، نقني، فوضت أمري، أسلمت نفسي، هوّن، اطو..).

وأما المعاني امتازت بالصحة والصدق وتميزت بالثراء والعمق والجدة والانسجام والتسلسل والترابط والعموم لأنه يخاطب المسلم في جميع مستوياته وعلى اختلاف طبقاته، فلا نجد لفظا وخمًا ولا مستثقلًا صعبًا ولا بعيداً غريبًا.

٣- ساهمت أدوات الربط – العطف والشرط والاستثناء والضمائر –في تماسك نصوص الحديث الشريف من مثل: وأنا عبدك وأنا على عهدك، وأبوء بذنبي فاغفر لي، إذا همّ أحدكم فليركع، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، إذا أتيت مضجعك فتوضأ، لا إله إلا أنت، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك...

٤- وظف الرسول – صلى الله عليه وسلم – التراكيب البلاغية فجاءت في غاية الروعة والطبع والسبك والإتقان من مثل: القصر والوصل والفصل والطباق، والتشبيه والكناية والجمل الخبرية والأساليب الإنشائية وصيغ الأفعال الزمنية والإيجاز والإطناب..

٥- حضور لافت للانسجام الصوتي والموسيقى الرائعة الشجية داخل كلمات الأحاديث تحمل بين ثناياها شحنات الرغبة والرهبة والضراعة والندم والتحسر وألواناً من المشاعر، مما أحدث ترابطًا وتعانقًا وتآخيًا بين مفردات الحديث الشريف، وتصويرًا لأحاسيس العبد وانفعالاته ومواقفه العاطفية وحالاته النفسية.

٦- استعمل الرسول – صلى الله عليه وسلم – الأساليب الخبرية والإنشائية، واستعمال الأفعال، وتميزت الأساليب الإنشائية بمزايا تربوية كالشمول والتنوع وهذا راجع إلى ما تتمتع به هذه الأساليب من قوة في التأثير على المتلقي وإقناعه بطريق يسيرة وبعيدة عن التكلف.

٧- كان للالتفات دوره المتميز في تطرية نشاط السامع وشد انتباهه وجعله متواصلا مع أحاديث الدعاء، وقد عكست هذه الصور قدرة الخالق وحاجة العبد إليه.

٨- بينت الدراسة أن مقام الدعاء من أصدق المقامات الخطابية وأبعدها عن الصنعة والتكلف، كما دلّت الدراسة على اتسام الدعاء النبوي بالقصر والإيجاز وتكثيف المعنى وانقسام جمل الدعاء النبوي في فواصل متساوية، كما أكدت وضوح الظواهر البلاغية المتنوعة من تقديم وتأخير وتنكير وتعريف وإفراد وجمع وارتباط هذه الظواهر بالمعنى المتضمن في الحديث.

المصادر والمراجع

الألوسي، محمود، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الأنباري، عبد الرحمن (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بيروت، المكتبة العصرية.

أنيس، إبراهيم، (١٦٧٥م)، الأصوات اللغوية، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

البدر، عبدالرزاق (١٤٣١هـ)، كتاب الذكر والدعاء في ضوء الكتاب والسنة، ط٣، وزارة الأوقاف، المدينة المنورة.

البرسيم، قاسم، (١٩٩٣م) "التركيب الصوتي في قصيدة – أنشودة المطر" مجلة آفاق عربية، (ع ٥).

البغوي، محمد (١٤٣٣هـ-٢٠١٠) شرح مصابيح السنة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، أحمد (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، أحمد (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد، وزارة الأوقاف السعودية

الجاحظ، عمرو، (د.ت)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر.

جدوع، عزة، (١٤٣٤هـ)، البلاغة في القرآن والسنة، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، الرياض.

ابن جني، عثمان، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، ط١، دمشق، دار القلم.

أبو حيان، محمد (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، البحر المحيط، تح: عادل أحمد وآخرون، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الحمزاوي، محمد، (١٤٢٨هـ)، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، ط١، الرياض، مكتبة الرشد.

الحميد، صالح، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ط١، جدة، دار الوسيلة.

الخطاب، أسماء (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، التقابل في الحديث الشريف، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر.

الخطابي، حمد، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، شأن الدعاء للخطابي، مصر، المكتبة العمرية.

دياب، سعيد، (٢٠٢١م)، فضل الدعاء وآدابه، لسعيد دياب، قطر، دار الدوحة.

الرازي، فخر الدين، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، التفسير الكبير، تح: سيد عمران، القاهرة، دار الحديث.

الراضي، ناصر، (٢٠٠٨م) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ط١، القاهرة، دار البصائر

الراغب الأصفهاني (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد عيتاني، ط٣، بيروت، دار المعرفة

الرافعي، مصطفى (١٣٩٣هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٩، بيروت، دار الكتاب العربي.

الرافعي، مصطفى (١٩٨٧م)، تاريخ آداب العرب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

زاده، محي الدين (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، الحاشية على تفسير البيضاوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الزمخشري، محمود (د.ت)، الفائق في غريب الحديث، تح: علي البجاوي وزميليه، مصر، مطبعة الحلبي.

السامرائي، فاضل (١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م)، من أسرار البيان القرآني، ط٣، دمشق، دار ابن كثير.

السفاريني، محمد (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، نتائج الأفكار في شرح حديث الاستغفار، ط١، الرياض، دار الصميعي.

السمين الحلبي (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق: علي معوض وآخرون، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

سيبويه، عمرو (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، بيروت. عالم الكتب.

السيوطي، جلال الدين (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، بيروت، المكتبة العصرية

الشريف الرضي (د.ت)، المجازات النبوية، للشريف الرضي، تحقيق: طه الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي.

شمس الحق، محمد (١٤١٥هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

الشوكاني، محمد (١٩٨٤م) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ط١، بيروت، دار القلم.

الشوكاني، محمد (١٤٢٦هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، ط٤، الرياض، مكتبة الرشد.

الشوكاني، محمد (د.ت)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، طبعة، وزارة الأوقاف السعودية.

شيخ بكري، (٢٠٠٥م) أدب الحديث النبوي، بكري شيخ، ط٧، بيروت، دار العلم للملايين.

الصباغ، محمد (١٤٠٩هـ–١٩٨٨م)، التصوير الفني في الحديث النبوي، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي.

الصباغ، محمد (١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م)، الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه، ط٨، بيروت، المكتب الإسلامي.

الطيبي، حسين (١٤٣٤هـ–٢٠١٣م)، شرح مشكاة المصابيح، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

الطيبي، حسين (١٤٣٤هـ–٢٠١٣م)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ط١، الإمارات، جائزة دبي للقرآن.

ابن عادل، عمر (١٤١٩هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد وآخرون، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد (د.ت)، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس.

عبيد، صباح (١٤٠٦هـ–١٩٨٦م) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ط١، مصر، مطبعة الأمانة.

العسقلاني ابن حجر، أحمد (١٤٣٣هـ–٢٠١٠)، فتح البارئ شرح صحيح البخاري، تح: عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد، ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية.

العسكر، عبدالمحسن (١٤٣٥هـ)، معالم البيان في الحديث النبوي، عبد المحسن العسكر، ط١، الرياض، دار المنهاج.

العطوي، عويض (١٤٣٠هـ) أحاديث السفر دراسة بلاغية في البيان النبوي، مجلة جامعة الإمام، (العدد ١٢)

ابن عطية، عبدالحق (١٤١٩هـ–١٩٩٨م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عادل أحمد وآخرون، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

علان، محمد (د.ت) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار الكتاب العربي.

علي، عزالدين (١٣٩٢هـ-١٩٧٣)، في الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، القاهرة، دار الطباعة المحمدية.

العيني، بدر (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الغانمي عبدالعزيز (١٤٤٢هـ) التماسك النصي في بعض أدعية النبي – صلى الله عليه وسلم – لعبد العزيز الغانمي، مجلة جامعة طيبة (العدد ٢٧).

ابن فارس، أحمد (١٣٩٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، بن فارس أحمد، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر.

الفقي، صبحي (٢٠١٥م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار النابغة للنشر.

الفيروزآبادي، مجد الدين (د.ت)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بيروت، المكتبة العلمية.

القاري، علي (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تح: صدقي العطار، بيروت، دار الفكر.

القاضي، عياض (١٤٣٤هـ)، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تح: علي البجاوي، لإمارات العربية، جائزة دبي.

القرطبي، محمد (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، القاهرة، دار الحديث.

ابن القيم، محمد (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز وآخرون، ط١، مكة المكرمة مكتبة الباز.

الماوردي، علي (١٤٠٩هـ) أعلام النبوة، للماوردي، ط١، دار الهلال، بيروت.

المباركفوري، محمد (د.ت)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أشرف وراجع أصوله: عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت دار الفكر.

محمد، عبدالرزاق (١٤١٨هـ)، في بلاغة الدعاء النبوي، كتاب صدر عن رابطة العالم الإسلامي، (ع١٨١).

المدني، علي (١٣٨٨هـ-١٩٦٨)، أنوار الربيع في أنواع البديع، ط١، العراق، مطبعة عثمان.

ابن الملقن، عمر (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م) الإعلام بفوائد الأحكام، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، ط ١، الرياض، دار العاصمة.

ابن منظور (د.ت)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.

المناوي، محمد (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، القاهرة، دار الحديث.

أبو موسى، محمد (١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م)، من أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دراسة في بلاغه وبلاغته، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة.

النيسابوري، مسلم (١٤٣٣هـ-٢٠١٠م) صحيح مسلم، شرح النووي، ط٥، بيروت، دار الكتب العلمية.

ياسوف، أحمد (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، الصورة الفنية في الحديث النبوي، ط٢، دمشق، دار المكتبي.

The Eloquence of Hadiths Starting with "O Allah" in the Two Authentic Books of Hadith: An Analytical Study of Some Hadiths

Mohammed bin Ali bin Ayed bin Dera

Associate Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, College of Humanities, Abha, KSA

dera.m1388@gmail.com

Abstract. This is a study specialized in a part of the practical application of the Noble Hadith and I called it (the eloquence of the hadiths contained in the formula, O God, in the Two Sahihs, an analytical study of some hadiths) an analytical study, which I based on an analytical approach based on selecting a sample of hadiths based on compatibility with the desired purpose, then presentation and analysis. As for the structure of the study, it is based on an introduction and two sections. The first section consists of two topics: The first: Supplication: its definition - its virtues - its etiquette - the impediments to answering. The second: the eloquence of the Messenger, may God bless him and grant him peace. The second section was based on the applied and analytical study, and was preceded by an introduction in which it revealed the idea of the research, its limits, its importance, the questions surrounding it, its methodology, and previous studies. And a conclusion in which I explained the results of the study, including the secret of supplication in this formula and its repetition. The Messenger of God - may God bless him and grant him peace - employed the various arts of rhetoric, which contributed uniquely to portraying the state of the servant during his supplication to his Lord and his commitment to obeying Him.

*Keywords***:** Supplication, Form of O Allah, The eloquence of hadiths, Analytical study.